الإعجاز البياني في تصوير أصنام مشركي العرب في القرآن الكريم

د عمار سعدالله رضا النعيمي

ملخص البحث

ذكر القرآن الكريم كثيرا من المعبودات الشركية وتناولها في آيات كثيرة ذكرت فيها هذه المعبودات بسياقات مختلفة تنوعت فيها الفنون البلاغية تنوعا إعجازياً يتناسب مع طبيعة كل معبود وعابديه. لذا اقتضت طبيعة الموضوع أن ينقسم على تمهيد ومبحثين: تضمن التمهيد دراسة تاريخية تتبعت فيها ظهور المعبودات الشركية عند العرب قبل الإسلام، وتضمن المبحث الأول دراسة أهم وأشهر الأصنام عند العرب قبل الإسلام غير المذكورة في القرآن الكريم، وتضمن المبحث الثاني دراسة الإعجاز البياني في تصوير أصنام مشركي العرب (اللات، والعزى، ومناة). ثم ختم البحث بنتائج، منها: أن القرآن الكريم ذكر أصنام مشركي العرب بمسمياتها (اللاَّت والعزَّى ومناة)، أن القرآن الكريم ذكر أصنام مشركي العرب بمسمياتها (اللاَّت والعزَّى ومناة)، وذهب كثير من المفسرين إلى أن سبب ذكر هذه الأصنام من دون غيرها هو أنها كانت أعظم أصنام المشركين شأناً عندهم، لكن ذهب البحث إلى أن هناك أصناماً أخرى كانت أعظم شأناً منها وخاصة الصنم هبل، وأن سبب عدم ذكر أيٍّ منها، والله أعلم، إلى أنها كانت منصوبة داخل البيت الحرام أو في مواضع أخرى من مكة، وأن الرسول (ﷺ) قد باشر كسرها بيده أو أنها كُسرت بحضوره فلن يكون لها ذكر بعد ذلك ولن تقوم لها قائمة.

The Declarative Miraculousness in Portraying the Arab Idols in the Holy Qur'an

Dr. Ammar Saadallah Rida Al Nuaimi

Abstract

The Holy Qur'an mentions many of the idols and deals with them in many verses in different contexts. The rhetorical arts vary in the manner that corresponds to the nature of each idol and its worshipers. The research has an introduction and two dimensions .The first dimension is devoted to study the most important and famous Arab idols before Islam, which are not mentioned in the Holy Qur'an. The second dimension include the studying of the miraculous declaration in the portrayal of the Arab idols (Lat, Al-Uzzi, and Manna). The research ends with the following results: many of the commentators say that the reason for mentioning these idols is that they are the greatest idolaters of the polytheists, But there are other idols which are more important than those such as the idol "Hubble", and that the reason for not mentioning any of them is that they are placed inside the Sacred House Or elsewhere in Mekka,or that Prophet (PBUH) breaks them with his hand or someone breaks them in the his presence..

الإعجاز البياني في تصوير

أصنام مشركي العرب في القرآن الكريم

أ.م.د.عمار سعدالله رضا النعيمي

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة / نينوى

المقدمة

الحمد لله العلي الحميد، صادق الوعد والوعيد، والصلاة والسلام على رسوله محمد رافع لواء التوحيد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين جعلهم الله شهداء على الناس، وجعل الرسول عليهم شهيداً.

وبعد ...

يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران] فقد شهد الله تعالى على نفسه بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد سبحانه، وشَهِدَ على ذلك ملائكته وأولي العلم من عباده، وأشهد على ذلك جميع خلقه منذ أن خلقهم أول مرة. كما في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾[الأعراف]، **وقد خلق الله تعالى خلقه على الفطرة السليمة وهي فطرة التوحيد. وحبب إليهم الإيمان وكره الكفر والفسوق والعصيان، إلا أن كثيرا منهم جانب هذه الفطرة السليمة بإتباع خطوات الشيطان وهوى الأنفس، فزين لهم الإشراك بالله تعالى واتخذوا أربابا وآلهة من دونه. وظهرت آلهة كثيرة ومتنوعة منها ما كان من الحجارة ومنها ما كان من الخشب ومنها ما كان من المعادن التي صنعت منها الأصنام والأنصاب والأوثان والتماثيل.**

وقد ذكر القرآن الكريم كثيرا من هذه المعبودات الشركية وتناولها في آيات كثيرة، ذكرت فيها هذه المعبودات بسياقات مختلفة تنوعت فيها الفنون البلاغية تنوعا إعجازياً

يتناسب مع طبيعة كل معبود وعابديه.

واقتضت طبيعة الموضوع أن ينقسم على تمهيد ومبحثين، تضمن التمهيد دراسة تاريخية تتبعت فيها ظهور هذه المعبودات الشركية عند العرب قبل الإسلام. وتضمن المبحث الأول دراسة أهم وأشهر الأصنام عند العرب قبل الإسلام غير المذكورة في القرآن الكريم. وتضمن المبحث الثاني دراسة الإعجاز البياني في تصوير أصنام مشركي العرب (اللات، والعزى، ومناة)، ثم خاتمة سجلت فيها أهم نتائج البحث.

التمهيد

الديانات والمعبودات عند العرب قبل الإسلام:

عرف العرب في الجزيرة وما جاورها بصورة أو بأخرى الأديان كافة والعقائد القديمة التي كانت تعتنقها الأمم والشعوب من الديانات البدائية الطوطمية إلى القول بالتناسخ إلى المجوسية إلى عبادة الكواكب والنجوم وعبادة الأوثان فضلاً عن الديانيتين السماويتين اليهودية والنصرانية، ولعل الحكمة الإلهية اقتضت أن تجتمع كافة العقائد الوثنية والشركية الضالة في هذه البقعة من الأرض لتمهد بذلك إلى بعث النبي الخاتم ﷺ بالإسلام الناسخ للشرائع والأديان السابقة كافة السماوية منها والوضعية فأعلن ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: من الآية ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]، ومن هنا فقد واجه الرسول ﷺ في دعوته كافة المذاهب والعقائد التي عرفتها البشرية والتي وقفت في صف واحد ضد دعوته فإنَّ مِلَّة الكفر واحدة ،لكنَّه استطاع بفضل الله تعالى ونصره أن يهزمها جميعاً ويدحض حججها بالحكمة والحجة القاطعة أولاً قبل السيف، وليس كما توهم الكثير من المغرضين، أعداء الإسلام، الذين زعموا أن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف .

وكانت الوثنية من أكثر الأديان إنتشاراً بين العرب فقد عبدوا أعداداً كبيرة من الأصنام والأوثان والأنصاب حتى بلغ عدد الأصنام حول الكعبة فقط عندما فتح الرسول ﷺ مكة ثلاثمائة وستين صنماً[1]، عدا الأصنام التي كانت في بيوت مشركي قريش والأصنام خارج مكة وفي أنحاء جزيرة العرب وماجاورها.

أما عن بداية عبادة الأصنام فيذكر ابن الكلبي أنّه ((كان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظّمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل بن آدم: يابني قابيل إنّ لبني شيث دوّاراً يدورون حوله ويعظّمونه، وليس لكم شيء فنحت لهم صنم فكان أوّل من عملها))[2]، ولعلّ هذه الرواية تُؤيّد ماذهب اليه كثير من علماء الأديان من أنّ عبادة السلف كانت أساس وبداية الأديان الوثنية [3]، ورواية أخرى تقول أنّه كان كلّ من ((ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صاحين، ماتوا في شهر، فجزع عليهم ذووهم وأقاربُهم[4]، فقال رجل من بني قابيل: ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنامٍ على صورهم ونصبها لهم، فكان الرجل يأتي أخاه وعمّه وابن عمّه فيعظّمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن ٠٠٠، ثم جاء قرنُ آخر فعظّموهم أشدّ من تعظيم القرن الأول، ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا: ماعظّم أوّلونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله، فعبدوهم وعظم أمرهم واشتدّ

(١) أخبار مكة وما جاء فيها، أبو محمد بن أحمد الأزرقي: ١ / ١٢١ ٠
(٢) الأصنام، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: ٥١ ٠
(٣) ينظر: الأساطير والخرافات عند العرب، د.محمد عبد المعيد خان: ٩٥ – ٩٦ ٠
(٤) في كتاب الأصنام ((ذوو أقاربهم)).

كفرهم))[1]، كما كانت لعبادة الكواكب والنجوم اثرُ في ظهور الاصنام وعبادتها فقد قام عبدة الكواكب باتخاذ الاصنام وجعلها رموزاً وتجسيداً لآلهتهم حتى يتمكنوا من عبادتها في كل الأوقات حتى عند أفول هذه الكواكب ومع مرور الزمن عظم شأن هذه الأصنام ونسوا الأصل الذي وضعت له واعتقدوا حلول آلهتهم فيها[2].

وقد عرفت العرب الوثنيّة منذ عهد العرب البائدة فقد عبدت كل من عاد وثمود والعماليق الأوثان، وعبدتها العرب القحطانيون في اليمن فكانت آلهتهم شبيهة بآلهة البابليين فقد عبدوا عشتار وإيل وبعل[3].

أما عبادة العرب العدنانيين للأوثان ودخول الأصنام إلى جزيرة العرب فقد ذُكرت عدة روايات حولها منها ما ذكره ابن الكلبي من أنّه لما كثر أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام**ضاقت عليهم مكة فوقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً وانتشروا بعد ذلك في أنحاء جزيرة العرب لالتماس المعيشة**[4]، ((وأنّه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسَحَ في البلاد، إلاّ حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم، حتى خلف الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ؛ وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون، من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة ... مع إدخالهم فيه

(١) الأصنام: ٥١ – ٥٢ .
(٢) ينظر: مروج الذهب، أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي: ٢ / ٢٣٦ – ٢٣٧.
(٣) ينظر: أديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان الجارم: ١٣٢.
(٤) ينظر: الأصنام: ٦ .

ماليس منه، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك٠ فيوحدون بالتلبية ثم يُدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، يقول الله تبارك وتعالى [لنبيه الكريم] محمد ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف]؛ أي ما يُوحدونني لمعرفة حقي إلاّ جعلوا معي شريكاً من خلقي))[1].

وكان أوّلَ من غيّر دين إبراهيم وإسماعيل (عليهما الصلاة والسلام) هو (عمرو بن لحيّ الخزاعي) فقد ذكرت الروايات أنّه لما تولّى حجابة البيت الحرام بعد أن غلب الحارث بن مضاض الجرهمي ونفاه من مكة، مرض عمرو بن لحي مرضاً شديداً ((فقيل له: إنّ بالبلقاء من الشام حِمَّةً إن أتيتها برأت، فأتاها فاستحمّ بها، فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه ؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو))[2]، ((وكلّ ما نسألهم نُعطى، فطلب منهم صنماً يدعونه هبل فسار به إلى مكة ونصبه على الكعبة ومعه أساف ونائلة ودعا الناس إلى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك))[3]، وكان هبل أول صنم يُوضع حول الكعبة وقيل فوقها، ووضِع معه أساف ونائلة وكانا صنمين لرجل وامرأة فجرا في الكعبة فمسخهما الله تعالى صنمين فأُخرجا ووضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة ليتَّعِضَ الناس بهما، ثم لما عُبدت الأصنام عُبدا معها ووضع أحدهما ملصقاً بالكعبة ووضع الآخر في موضع زمزم وكان يُطرح بينهما مايُهدى للكعبة

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ١١٢ ؛ وينظر: الأصنام: ٦ ٠

(٢) الأصنام: ٨ ٠

(٣) مروج الذهب،: ٢ / ٢٣٨ ؛ وينظر: تاريخ اليعقوبي، أحمد بن وهب الكاتب: ١ / ٢٢٣ ؛ والملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ٢ / ٢١٢ ٠

وكان يُنحر عندهما ويُذبح[1] ٠

وهناك رواية أخرى مفادها أنّ أصنام قوم نوح عليه السلام **كانت على جبل يُدعى (نوذ) فلما علا الطوفان وطبق الأرض كلها أهبط هذه الأصنام إلى الأرض وأخذ الماء يقذفها من أرض إلى أرض حتى قذفها على أرض جُدّة، ثم نضب الماء وبقيت على الشاطئ فسفت عليها الريح حتى وارتها**[2]، وكان لعمرو بن لُحيّ ((رِئيٌّ من الجن وكان يُكنّى أبا ثمامة، فقال له: عجّل بالمسير والظّعن من تهامة بالسعد والسلامة، فقال: جير ولا إقامة، قال: إيت ضفّ جُدّة، تجد فيها أصناماً مُعدّة، فأوردها تهامة ولا تهاب، ثم ادع العربَ إلى عبادتها تُجاب، فأتى شط جُدّة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحج، فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة))[3]، فأجابته إلى ذلك ففرّقَ الأصنام بين القبائل. ثم أخذت الأصنام بالازدياد والانتشار بين العرب حتى صار لكل قبيلة من قبائلهم صنم خاص بها، بل صار لمن يملك القدرة صنم خاص به وبأهل بيته يتقربون إليه ويطوفون حوله ويسجدون له ويذبحون عنده لقضاء حوائجهم[4]٠

وعلى أيّة حال فإنّ الروايات على تعددها تُؤكِّد أنّ عمرو بن لحيّ الخزاعي كان أول من غيّر دين إبراهيم ﷺ وأدخل الأصنام إلى مكة، وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه (ت ٥٧هـ) أنّ الرسول ﷺ قال لرجل من أصحابه يُدعى أكثم: ((ياأكثم رأيت عمرو بن لحيّ بن خندف يجرّ قِصْبَهُ في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجلٍ منك به ولابك منه، فقال أكثم: عسى ألاّ يضرّني شبهه يا رسول الله، قال: لا إنّك مؤمن وهو كافر ٠ كان أول

(١) ينظر: الأصنام: ٩ ؛ وسيرة ابن هشام: ١/ ١١٧.
(٢) ينظر: نفسه: ٥٣.
(٣) المصدر نفسه: ٥٤.
(٤) ينظر: أديان العرب في الجاهلية: ١٥٦ ٠

من غيّر دين إبراهيم ﷺ فنصب الأوثان، وبحّر البحيرة [١]، وسيّب السائبة[٢]، ووصل الوصيلة[٣]، وحمى الحمى[٤]))[٥] .

وكان بعد ذلك أن ((استهترت[٦] العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء البيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت، وسمُّوها الأنصاب، فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان وسمُّوا طوافهم الدّوار))[٧].

ويمكن تقسيم الأنصاب والأوثان في الجزيرة العربية من حيث نشأتها إلى قسمين:

١- المحليّة: وهي التي وجدت في جزيرة العرب وكانت عبارة عن حجارة غير منحوتة اتخذوها أنصاباً وكانت في الغالب ذات ألوان مميزة وخاصة البيضاء والسوداء،

---

(١) البحيرة: ((هي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن، عمدوا إلى الخامس ما لم يكن ذكراً فشقوا أذنها فتلك البحيرة، فلا يُجزّ لها وبر ولا يُذكر عليها اسم الله في ركوبها وحملها، وكانت ألبانها للرجال دون النساء)). المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب، رواية أبي سعيد بن الحسن السكري: ٣٣٠ .

(٢) السائبة: ((كان الرجل يُسيّب لها [أي لأصنامهم] الشيء من ماله فتكون حراما أبداً، ومنافعها للرجال دون النساء)). المحبر: ٣٣٠ .

(٣) الوصيلة: ((كانت الشاة إذا وضعت سبعة أبطن عمدوا إلى السابع، فإن كان ذكراً ذبح، وإن كانت انثى تركت في الشاء، وإن كان ذكراً وأنثى قيل: وصلت أخاها فحُرّما جميعاً، وكانت منافعهما للرجال دون النساء)). المحبر: ٣٣٠ .

(٤) حمى الحمى: ((ألفحل إذا أدرك أولاد أولاده، فصار ولده جدّاً، قالوا حمى هذا ظهره، اتركوه فلا يُحمل عليه ولا يُركب ولا يُمنع ماء ولا مرعى)). المحبر: ٣٣٠ .

(٥) سيرة ابن هشام: ١/ ١١١ ؛ وينظر: صحيح مسلم، بَابُ النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، رقم الحديث (٢٨٥٦): ٤/ ٢١٩١.

(٦) الاستهتار: ((الولوع بالشيء والإفراط فيه حتى كأنّه أهتر أي خرف، يقال: استهتر بأمر كذا أي أولعَ فيه لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره)). لسان العرب، ابن منظور، مادة (هتر): ٣/ ٨١٣ .

(٧) الأصنام: ٣٣ .

وقد أطلقوا عليها أسماءً

لآلهة معروفة عُبدت من قبل الشعوب المجاورة ممن كانوا قبلهم[1] .

٢- المستوردة: وهي الأصنام والتماثيل التي جاء بها عمرو بن لحيّ وغيره إلى جزيرة العرب من البلدان المجاورة وخاصة العراق والشام ((فإنّه ثابت أنّ العرب لم ينحتوا الأصنام لجهلهم بالفنون الجميلة، فالظاهر أنّ الأصنام المنحوتة مجلوبة من الخارج، وسواء أكانت هذه الأصنام مجلوبة في عصرٍ حديث، أو جاء بها العرب حينما افترقوا عن إخوانهم الساميين، فليس منشؤها قطعاً بلادً نجد والحجاز))[2].

وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من المعبودات الشركية من الأصنام وغيرها، أما من الأصنام فقد ذكر أصنام قريش، وهي (اللات، والعزى، ومناة)، وأصنام قوم نوح(u) - والتي عبدتها العرب فيما بعد، أو عبدت أصناماً بنفس مسمّياتها - وهي (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر)٠

وورد ذكر بعضٍ منها في عدد من الأحاديث النبويّة الشريفة، وذكر الإخباريّون بعضاً آخر، إلاّ أنّ القسم الأكبر منها لم يُذكر ولم تعرف أسماء الكثير منها.

(١) ينظر: معجم الأوثان والأصنام عند العرب، موفق فوزي الجبر: ١٠ ٠

(٢) الأساطير والخرافات عند العرب: ١٢٢ ؛ وينظر: معجم الأوثان والأصنام عند العرب: ١١ - ١٢ ٠

المبحث الأول

أهم وأشهر الأصنام عند العرب قبل الإسلام غير المذكورة في القرآن الكريم

هُبل: وهو أعظم أصنام قريش[1]، واختُلف في مكان وضعه فمنهم من قال فوق الكعبة، ومنهم من قال في جوف الكعبة، ولعلَّ سبب هذا الخلاف أنه نُقل من مكان إلى آخر في فترة من الفترات، وعلى أيّة حال فإنّ مكان نصبه يدلّ على مكانته وشدّة تعظيم قريش ومن والاها له، وأنّه كان الصنم الأكبر في البيت الحرام، وكان عنده بئر يقال له (الأخسف) وهو الموضع الذي تُرمى فيه الهدايا والنذور، وكان على صورة إنسان من عقيق أحمر مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش فجعلت له يداً من ذهب[2]. **وكانت تلبية من نسك عنده: ((لبيك اللهم لبيك، إننا لُقاح، حُرمتنا على أسنّة الرماح، يحسدنا الناس على النّجاح))**[3].

وقد روى ابن الكلبي أنّ خزيمة بن مدركة هو الذي وضع هبل موضعه فكان يُقال له (هبل خزيمة)[4]. وكان يستقسم عنده بالأزلام، وهي سبعة أقداح يستخيرونه بها في شؤونهم كافة من معرفة الأنساب إلى القتال والنكاح والسفر والتجارة ...، وقد استقسم عنده عبد المطلب في شأن ابنه عبد الله أبي النبي محمد ﷺ **حين أراد أن يذبحه**[5]. **وكان**

---

(١) الأصنام: ٢٧ .

(٢) ينظر: المفصل، د.جواد علي: ٦ / ٢٥٠ - ٢٥٣ ؛ ومحاضرات في تاريخ العرب، د. صالح أحمد العلي: ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) المحبر: ٣١٥ .

(٤) ينظر: الأصنام: ٢٨ .

(٥) ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، محمد عبد الله بن أحمد الأزرقي: ١ / ١١٧ - ١١٩.

من تعظيم قريش لهبل أنّهم جعلوا شعارهم يوم أحد (أعلُ هبل)، فقال رسول الله ﷺ: ((قم ياعمر فأجبه، فقل: الله أعلى وأجل))[1] . وقد هدم هذا الصنم يوم الفتح مع باقي الأصنام التي كانت في الحرم، فقد ذكر ابن هشام (ت ٢١٨ هـ) أنّ الرسول ﷺ **دخل مكة ((يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾**[الإسراء من الآية ٨١]. فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلاّ وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلاّ وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلاّ وقع))[2]. هذا ولم يرد ذكر هذا الصنم في القرآن الكريم.

أساف ونائلة: يذكر الرواة أنّ أصل هذين الصنمين هو رجل وامرأة، فقد ذكر ابن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ أسافاً رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى، ونائلة بنت زيد من جرهم أيضاً، وكان أساف ((يتعشّقها في أرض اليمن، فأقبلوا حجّاجاً، فدخلا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت، ففجر بها في البيت، فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما))[3] من الكعبة فنُصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة ليعتبر الناس بهما ويزدجروا عن ارتكاب الفاحشة في الحرم، فلما تقدم عليهما الزمن صار الناس يتمسّحون بهما، ثم ما لبثا أن عُبدا عندما أحضر عمرو بن لحيّ الأصنام إلى مكة وأمر الناس بعبادتها وقال لهم: إنّ من كان قبلكم كان يعبدهما وقد بقيا في مكانهما حتى ساد قصي بن كلاب مكة فحوّلهما من مكانهما فجعل أحدهما ملصقاً بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم، وكان يُطرح بينهما ما يُهدى للكعبة، وكان يُسمى ذلك الموضع (الحطيم)، وكان يُنحر

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣ / ١٠٤ .

(٢) نفسه: ٤ / ٦٥ ؛ وينظر: السيرة الحلبية، أبو الفرج بن أحمد الحلبي الشافعي: ٣ / ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) الأصنام: ٩ .

عندهما ويُذبح ولم تكن تدنو منهما امرأةٌ طَمِثَت، وكان أحدهم إذا أراد الطواف بالبيت بدأ بأساف فيستلمه، فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها[1] . وكانت تلبية من نسك لهما: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك إلاّ شريك هو لك، تملكه وما ملك))[2]. هذا ولم يرد ذكر هذين الصنمين في القرآن الكريم شأن باقي الأصنام التي كانت منصوبة في الحرم، إلا أنهما ذكرا في حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، إذ تقول: ((ما زلنا نسمع أنّ أسافاً ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم، أحدثا في الكعبة، فَمُسِخا حجرين)) [3]. وقد بقيت قريش تعبد هذين الصنمين حتى فتح رسول الله ﷺ مكة فكسرهما فيما كسر من الأوثان[4] .

ذو الخَلَصَة: وهو بيت فيه صنم يُسمى (الخلَصَة) وكان يُدعى (الكعبة اليمانيّة) لتمييزه عن البيت الحرام الذي يُسمونه (الكعبة الشاميّة)، وكان لهذه الكعبة سدنة وحجّاب وكانت العرب تعظمها كتعظيمها للبيت الحرام ؛ فكانت تطوف بها كطوافها بالكعبة وتنحر لها وتقدم لها الهدايا والعطايا أما الصنم الذي في البيت فكان على شكل صخرة بيضاء منقوشة على شكل تاج، وكان موضعها في تبالة بين مكة واليمن، وقد تعبّدها كل من خثعم وبُجيلة ودوس وأزد السرة ومن والاهم من هوازن، وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة، وكانوا يقطعون عندها العهود ويستقسمون عندها بالأزلام فقد كانت لها ثلاثة أقداح هي: الآمر، والناهي، والمتربص، وفي ذلك يقول الشاعر:

---

(١) ينظر: الأصنام: ٢٩ ؛ وأخبار مكة: ٢ / ٣٤ ؛ وسيرة ابن هشام: ١ / ١١٧ ؛ وبلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الآلوسي: ٢ / ٢٠١ ؛ وأديان العرب في الجاهلية: ١٣٣ – ١٣٤.

(٢) المحبر: ٣١١.

(٣) سيرة ابن اسحق: ١ / ٧٢ ؛ وينظر: سيرة ابن هشام: ١ / ١١٧.

(٤) ينظر: أديان العرب في الجاهلية: ١٣٤.

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العدا زورا

وكان سبب قوله هذا: أنّ أبا هذا الرجل كان قد قُتِل، فأراد أن يأخذ بثأر أبيه، فأتى إلى ذي الخَلَصَة ليستقسم بالأزلام، فخرج له السهم الذي ينهاه عن ذلك ثلاث مرات، فقال فيه تلك الأبيات ٠ وتنسب بعض الروايات هذه الحادثة إلى امريء القيس بن حجر[١] الذي أراد أن يُغير على بني أسد، فمرّ بطريقه بذي الخلصَة، فاستقسم عندها فخرج السهم الناهي ثلاث مرات فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم وسبّه ثم غزا بني أسد فظفر بهم وهزمهم[٢] وقد كانت تلبيتهم لذي الخَلَصَة: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك بما هو أحبّ إليك))[٣] . وقد هُدم هذا البيت في الإسلام قبل وفاة الرسول ﷺ **بمدة قليلة، هدمه جليل بن عبدالله البُجلي الذي يقول: قال لي رسول الله ﷺ: ((ألا تريحني من ذي الخَلَصَة ؟)) فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أَحْمَس وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب على صدري حتى رأيت أثر يده على صدري، وقال: ((اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً))، قال: فما وقعت عن فرس بَعدُ، قال: وكان ذو الخَلَصَة بيتاً لخثعم وبُجيلة فيه نُصب تُعبد، يقال لها الكعبة، قال: فأتاها فحرّقها بالنار وكسرها))**[٤]٠

وقد ذكر رسول الله ﷺ ذا الخَلَصَة في حديث آخر هو: ((لا تقوم الساعة حتى

---

(١) لم أجد هذه الأبيات في ديوانه.
(٢) ينظر الأصنام: ٣٤-٣٥، ٤٥ ؛ والأساطير والخرافات عند العرب: ١١٣/ -١١٤.
(٣) المحبر: ٣١٢ ٠
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب غزوة ذي الخلصة، كتاب المغازي، ٥ / ١٥١، رقم (٤٣٥٧).

تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخَلَصَة))[1]، والمراد: أنّ أعجاز نساء دوس سوف تضطرب وتتحرّك إما لركوبهنّ الدواب أثناء السفر إلى الصنم المذكور، أو تضطرب أعجازهنّ أي تتحرّك أثناء الطواف حول ذي الخَلَصَة، أي أنّهم سيكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام[2].

عُمْيانس: وهو صنم خولان، وقد عبده بطن من بطون خولان يُقال لهم الأُدوم، ويسمى أيضاً (عم أُنس)، وكان في أرض خولان إلى الجنوب من مكة من أطراف اليمن، وكانوا يقسمون له من حرثهم وأنعامهم قسماً بينه وبين الله تعالى بزعمهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[ألأنعام]، فقد كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كان لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءاً ولصنمهم هذا جزءاً وكذلك فعلوا مع أنعامهم، فما دخل من حق عميانس إلى حق الله ردّوه عليه، سواء كان من الحرث أم من الأنعام، وما دخل من حق الله في حق الصنم تركوه له وقالوا: إنّ الله غني وهذا فقير، ولم يردّوه إلى ما جعلوه لله، وكانوا يُحرّمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونها لصنمهم ويزعمون أنهم يُحرّمونها قربةً لله، وكلّ شيءٍ يجعلونه لله من ذبحٍ يذبَحونَه لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه اسم صنمهم، وما كان لصنمهم لم يذكروا اسم الله معه، ولهذا قال الله تعالى عنهم ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، **فإنّهم لم يكتفوا**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن،بَابُ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ، ٩ / ٥٨، رقم (٧١١٦).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين بن أحمد العيني: ٢٤ / ٣١٤ .

بالإشراك بالله بل إنّهم لم يعدلوا حتى في شركهم[1]. وقد ورد ذكر هذا الصنم في خبر وفد خَولان الذي قَدِمَ على النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة، إذ سألهم الرسول ﷺ: ((ما فعل عَمِ أُنس ؟ ... قالوا: أبشر، بدّلنا الله به ما جئت به وقد بقيت منّا بقايا من شيخ كبير وعجوزَ كبيرة متمسّكون به، ولو قدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله، فقد كنّا منه في غرور وفتنة، فقال لهم رسول الله ﷺ: وما أعظم ما رأيتم من فتنة ؟ قالوا: لقد رأيننا أسنّتنا حتى أكلنا الرّمة، فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور ونحرناها لعمِ أُنس قرباناً في غداةٍ واحدة وتركناها تردها السّباع ونحن أحوج إليها من السّباع، فجاءَنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال، ويقول قائلنا: أنعَمَ علينا عَمِ أُنس))[2] .

المبحث الثاني
الإعجاز البياني في تصوير أصنام مشركي العرب

اللاّت، والعُزَّى، ومناة:

ورد ذكر هذه الاصنام مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[النجم].

كانت الوثنية من أكثر الأديان انتشاراً بين العرب فقد عبدوا عدداً كبيراً من الاصنام والأوثان والأنصاب، حتى بلغ عدد الاصنام المنصوبة حول الكعبة فقط عند فتح الرسول

(١) ينظر الأصنام: ٤٣ – ٤٤ ؛ وأديان العرب في الجاهلية: ١٤٥ – ١٤٦ ؛ والدين والأسطورة، محمد الخطيب: ٥٤– ٥٥.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية: ٣ / ٥٠ ؛ وينظر: المفصل، د.جواد علي: ٦ / ٢٦٥.

ﷺ **مكة ثلاثمائة وستين صنماً**[1]، عدا الاصنام الأخرى الموزعة في أماكن أخرى من مكة وجزيرة العرب، وقد عرف العرب منذ عهد بعيد عبادة الاصنام فقد عبدت كل من عاد وثمود والعماليق الاصنام، وعبد العرب القحطانيون الاصنام في اليمن[2]، أما عبادة العرب العدنانيين للأوثان ودخول الأصنام إلى جزيرة العرب فقد ذُكرت عدة روايات حولها منها ما ذكره ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ) من أنّه لما كثر أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام **ضاقت عليهم مكة فوقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً وانتشروا بعد ذلك في أنحاء جزيرة العرب لالتماس المعيشة**[3]، ((وأنّه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسَحَ في البلاد، إلاّ حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم حتى خلف الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ؛ وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون، من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة ... مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك فيوحدون بالتلبية ثم يُدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، يقول الله تبارك وتعالى [لنبيه الكريم] محمد ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف] أي ما يُوحدونني لمعرفة حقي إلاّ جعلوا

(١) ينظر: أخبار مكة: ١/ ١٢١.
(٢) ينظر: أديان العرب في الجاهلية: ١٣٢.
(٣) ينظر: الأصنام: ٦

معي شريكاً من خلقي))[1].

ويُعدُّ (عمرو بن لحيّ الخزاعي) أول من غيّر دين إبراهيم ﷺ **وأدخل الأصنام إلى مكة، وقد وردت الروايات بذلك والتي سبق ذكرها في التمهيد، وقد ذكر القرآن الكريم بعضاً من هذه الاصنام وهي:**

اللاّت: والأصل في ((اللاّت بالتشديد، لأن الصنم إنما سُمي باسم اللاّت الذي كان يلتُّ عند هذه الاصنام لها السُّويق أي يخلطه، فخُفف وجُعل اسماً للصنم، وكان الكسائي (ت١٨٩هـ) يقف على اللاّه، بالهاء،قال أبو إسحاق: (ت٣١١هـ) وهذا قياس والأجود إتباع المصحف والوقوف عليها بالتاء، وكان المشركون الذين عبدوها عارضوا باسمها اسم الله،تعالى الله علواً كبيراً عن إفكهم ومعارضتهم وإلحادهم في اسمه العظيم)) [2].

واللاّت صخرة مربعة بيضاء منقوشة، عليها بيت له أستار وسدنة، وكانت مُعَظَّمَة عند قريش وثقيف وغيرهما من العرب، وكان موضعها في الطائف[3]. واللاّت اسم إله قديم من آلهة البابليين، وقد اتخذها النبطيون إلهة وسمّوها (ربة البيت) أو (أم الآلهة)، وعُبدت أيضاً في تدمر، وفي أرض مدين عند اللحيانيين، وكانت عندهم صخرة مربعة بيضاء أيضاً، وكان البابليون يرون فيها رمزاً لفصل الصيف، وعدّها النبطيون واللحيانيون إلهة الشمس، وكذلك نسب العرب إليها فصل الصيف، فكانوا يقولون: إن ربكم يتصيَّف باللاّت لبرد الطائف، وهذا دليل على مدى تأثر العرب بمن قبلهم في وثنيتهم، وأما

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ١١٢ ؛ وينظر: الأصنام: ٦٠

(٢) لسان العرب، مادة (لتت): ١/ ٨١١؛ وينظر: معاني القرآن وإعرابه،أبو اسحاق الزجاج: ٥/ ٥٩ .

(٣) ينظر: الأصنام: ١٦؛ وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٧/ ٣٠٢؛ وأديان العرب في الجاهلية: ١٤٩.

ما ورد عن العرب من روايات عن أصل اللاّت عندهم فقد تكون مخترعة بعد ضياع الأساطير البابلية عنها[٤]، فقد أورد العرب عدة روايات عن أصل صخرة اللاّت، منها: أنها كانت في الأصل صخرة يجلس عليها رجل من ثقيف يلتُّ السمن واللبن للحجيج، وقالوا: بل كانت هي ذات الرجل الذي يلتُّ السمن فلما مات دُفن في ذلك الموضع ثم جُعلَ مزاراً ثم ما لبث أن عُبد بعد ذلك، وقالوا أيضاً: إن الرجل لمّا مات قال لهم عمرو بن لحي: لم يمت، وإنما دخل في الصخرة، فأمر بعبادتها، فبنوا عليها بيتاً وحرّموا لها الوادي الذي كانت فيه، وكان تحت صخرة اللاّت بئر يقال له (غبغب) توضع فيه الهدايا والنذور والأموال التي كانت تهدى إليها[٥]، وكانت تلبيتهم لها: ((لبيك اللهم لبيك، كفى ببيتنا بنيّة، ليس بمهجور ولا بليَّة، لكنه من تُربةٍ زكيّة، أربابه من صالحي البرية))[٦]، وظلت اللاّت تُعبد وتُعظم حتى فتح رسول الله ﷺ **مكة فبعث المغيرة بن شعبة فهدمها وقوّض حجارتها وأحرق البيت الذي كان عليها**[٧].

العُزَّى: على وزن ((فُعلى، وهي تأنيث الأعز، والأعزّ ضد الأرذل، واشتقاقه كله من العِزِّ، والعِزَّة لله تبارك وتعالى، وأصل العزة: الصلابة والشدة، ومنه قيل: تعزّز لحم الفرس، إذا غلظ واشتد))[٨]، **((والأعز، بمعنى العزيز، والعُزّى بمعنى العزيزة))**[٩].

وذهب المؤرخون إلى أن عبادة العُزَّى قديمة منذ العهد البابلي، فقد كانت تسمى عندهم (عشتار) وهي إلهة الربيع والحب، ثم أصبحت في عصر حمورابي تمثل (نجم

(٤) ينظر: الأساطير والخرافات عند العرب: ١٢٦-١٢٨؛ والدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية: ٤٨.
(٥) ينظر: بلوغ الارب: ٢/ ٢٠٣؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ٦/ ٢٢٨-٢٢٩.
(٦) المحبر: ٣١٢.
(٧) ينظر: سيرة ابن هشام: ٤/ ١٩٠-١٩٦؛ والمفصل: ٦/ ٢٣٤.
(٨) الاشتقاق، ابن دُريد الازدي: ١/ ٤٧.
(٩) لسان العرب، مادة (عزز): ٤/ ٧٢.

الصباح)، ثم مثلت بعد ذلك عند الإغريق (كوكب الزهرة)، كما عُبدت من قبل الأنباط والصفويين، وكان اللخميّون ينحرون لها الأسرى فقد ذكرت الروايات أن المنذر بن ماء السماء ضحى عندها بأربعمائة أسير من الغساسنة، ثم اتخذها العرب بعد ذلك وكانت تمثل عندهم في البداية (فصل الشتاء) كما يظهر من قول عمرو بن لحي: إن ربّكم يتصيف باللاّت لبرد الطائف، ويشتو بالعزى لحرِّ تهامة، ثم صارت بعد ذلك إلهة الخضرة حينما قامت عندها ثلاثُ سَمُرات[1] في وادي نخلة، ثم أصبحت تُمثل (كوكب الزهرة) بعد أن صعدت إلى السماء حسب معتقدهم في صورة امرأة حسناء، وكان لها عندهم تعلق بالنكاح تقصدها النساء ممَّن تعسّر نكاحهنَّ طلباً للزوج، وخلاصة القول: إن العُزَّى عند العرب تقلبت في كافة الطقوس والرموز الأرضية والسماوية التي مرت بها عشتار عند البابليين، مما دفع الكثير من الباحثين إلى القول بأن العُزَّى هي عشتار نفسها [2]. وقد عَبَدَ العُزّى من العرب كل من قريش وغطفان وكنانة وخزاعة وثقيف ونصر وجُشم وسعد بن بكر وبني سليم وغني وباهلة وغيرهم، وكانوا قد بنوا عليها بيتاً له أستار وسدنة يقال له (بيت العزّى)، ويسمى أيضاً (كعبة غطفان) لشدة تعظيم غطفان له، وكان في موضع فوق ذات عرق بوادي نخلة قرب مكة، وكانت قريش تخصها بالزيارة والهدايا، وقد حرّمت لها شِعباً يسمى (سُقام) في وادي حِراض، وكانوا إذا فرغوا من حجِّهم وطوافهم بالكعبة، لم يتحللوا حتى يطوفون بالعُزّى ويعكفون عندها يوماً [3]، وكانت تلبيتهم لها:

---

(١) السَّمُرة: ((من الشجر صغار الورق قصار الشوك، والجمع سَمُر وسمرات وأسمر في أدنى العدد، والسَّمُرة: من شجرة الطلح)). لسان العرب، مادة (سمر): ٣/ ٣٥٤.

(٢) ينظر: أخبار مكة: ١/ ٧٤؛ والمفصل: ٦/ ٢٣٧؛ والأساطير والخرافات عند العرب: ١٢٨-١٣٣.

(٣) ينظر: الأصنام: ١٨-٢٠؛ والمفصل: ٦/ ٢٣٩؛ ومحاضرات في تاريخ العرب: ١/ ١٥٧-١٥٨.

((لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك ما أحبّنا إليك))[1].

أما عن شكل العُزّى وهيئتها فقد اختلف الرواة في ذلك، فمنهم من قال: إنها كانت وثناً قربها شجرة[2]، ومنهم من قال: إنها كانت ثلاث سمرات[3]، ومنهم من قال: إنها كانت شجرة عليها بيت له أستار[4]، ومنهم من قال: إنها شيطانة كانت تأتي ثلاث سمرات بوادي نخلة[5]، وفي الحقيقة أنه يمكن التوفيق بين هذه الروايات التي ذُكرت بالقول: إن العُزى كانت صنماً عليه بيت له أستار وسدنة، وبقربه ثلاث أشجار، وأمامه (غبغب) أي خزانة توضع فيها الهدايا والنذور، وذلك لأن الروايات التي ذُكرت عن كسر خالد بن الوليد رضي الله عنه **للصنم تنسجم مع كونها صنماً لا شجرة أو شجيرات، لأنه لا يُعقل أن يقال أنه كسر الشجرات لأنها عادة تُحرق، وإن تقديس هذه الشجرات التي كانت قرب الصنم أمر طبيعي لأنها واقعة في حرم هذا الصنم،فهي مقدسة عندهم أيضاً ولا يجوز مسَّها بسوء**[6]، ومما يؤيد ذلك أيضاً رواية الطبري (ت٣١٠هـ) التي تشير فيها أن خالدَ بن الوليد ضرب العُزى بالفأس فهشّم أنفها، وهذا يشير إلى أنها كانت صنماً أنثى، أي تمثالاً لامرأة، وكذلك ما ورد عن عُبّاد العُزى أنهم كانوا يلطخون قِنّة الصنم، أي أعلاه ورأسه بدم الأضاحي[7]، وقد بقيت العزى تُعبد وتعظم حتى بعث الله تعالى نبيه محمد ﷺ **وأظهره على المشركين وفتح مكة ((فبعث خالداً بن الوليد إلى**

(١) المحبر: ٣١٣.
(٢) ينظر: نفسه: ٣١٥.
(٣) ينظر: أخبار مكة: ١/ ٧٤.
(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٣٠٣؛ ومعجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤/ ١١٦، ٦/ ١٦٦.
(٥) ينظر: بلوغ الأرب: ٢/ ٢٠٤.
(٦) ينظر: المفصل: ٦/ ٢٤٥.
(٧) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٣/ ٦٥.

العُزى يهدمها، فخرج خالد في ثلاثين من أصحابه حتى انتهى إليها وهدمها، ثم رجع إلى النبيﷺ، فقال: ((هدمت؟))، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ((هل رأيت شيئاً ما؟))، قال: لا، قال: ((فإنّك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها))، فرجع خالد وهو متغيظ فلما انتهى إليها جرَّد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة الرأس فجعل السادن يصيح بها:

أيا عُزُّ شدِّي لا تكذّبي ... على خالدٍ ألقي القناع وشمِّري

أيا عُزُّ إن لم تقتلي المرء خالداً ... فبُوئي بذنبٍ عاجلٍ أو تنصّري

وأقبل خالد بالسيف إليها وهو يقول:

يا عزُّ كفرانك لا سبحانك ... إني وجدت الله قد أهانك

فضربها بالسيف فجزّها باثنتين، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ **فأخبره فقال: ((نعم تلك العُزّى وقد يئست أن تُعبد ببلادكم أبداً))**[1]، ثم قال خالد: أي رسول الله، الحمد لله الذي أكرمنا وأنقذنا من الهلكة، إني كنت أرى أبي يأتي إلى العُزّى بحتره مائة من الإبل والغنم فيذبحها للعُزّى ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا مسروراً، فنظرت إلى ما مات عليه أبي، وذلك الذي كان يُعاش في فضله كيف خُدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، فقال رسول الله ﷺ: **((إنَّ هذا الأمر إلى الله فمن يسَّره للهدى تيسَّر ومن يسَّره للضلالة كان فيها))**[2].

---

(١) والظاهر- والله أعلم - أن رجوع الناس لعبادة العُزى سيكون خارج جزيرة العرب وذلك لقول الرسولﷺ: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللاّت والعُزى))، أخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٩٠٧): ٤/ ٢٢٣٠.

(٢) المغازي، الواقدي: ٣/ ٨٧٣-٨٧٤ ؛ وينظر: زاد المعاد: ٢/ ١٦٧؛ وسيرة ابن كثير: ٩/ ٤٦.

مناة: وهي صنم وقيل صخرة عبدتها العرب واشتقاقها من: منى يمني، أي صَبَّ، لأن دماء النسائك كانت تُصبُّ عندها، ومناءة مفعلة من النوء، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء[1].

ومناة من الاصنام القديمة أيضاً والتي عُبدت من قبل البابليين وكانت تسمى (مامناتو) وكانت عندهم من بناة الإله، ومثلت إلهة الموت والقدر، وهي كذلك عند النبطيين الذين كانوا يسمونها (منوتن) و(منوت)، ثم اتخذها العرب إلهة لهم عندما نصبها عمرو بن لحي على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة، وكان أهل يثرب من الأوس والخزرج يُعَظِّمُونها وكذلك الأزد وغسَّان وخزاعة، وقد مثلت عندهم إلهة الموت والقدر أيضاً، وكان سدنتها من الأزد، وكان من تعظيمهم لها أنهم تسموا باسمها كثيراً، فسموا (عبد مناة) و(عبدة مناة) و(زيد مناة) و(عوذ مناة) و(سعد مناة) و(أوس مناة)، وقد اختلف الرواة في شكل مناة وهيئتها، فمنهم من قال: إن مناة صخرة كانت تمنى عندها دماء النسائل أي تُراق، ومنهم من قال: إنها صنم كان منصوباً على ساحل البحر، ويمكن التوفيق بين الروايتين بأن الصخرة ممكن أن تكون مذبحاً أُقيم عند الصنم أو عند معبده ليذبح عليه ما يُهدى إلى الصنم فسمي باسمه، وكانت العرب تذبح وتستمطر الأنواء عندها تبركاً[2]، وكان الأوس والخزرج ومن كان على رأيهم من أشد العرب تعظيماً لهذا الصنم، ((فكانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسهم فإذا

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٤/ ٤٢٤؛ وإعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش: ٧/ ٣٢٨.

(٢) ينظر: المفصل: ٦/ ٢٤٦-٢٤٨؛ ومحاضرات في تاريخ العرب: ١/ ١٥٩-١٦١؛ والأساطير والخرافات عند العرب: ١٣٧-١٣٨.

نفروا أتوه فحلقوا رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك))[1]، وكانت تلبيتهم له: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لولا أن بكراً دونك، يُبرك الناس ويهجرونك، ما زال حج عثج يأتونك، إنَّا على عدائهم من دونك))[2]. وقد اشتهرت مناة بكثرة الأموال التي كانت تُهدى إليها، فلما كان عام الفتح بعث رسول الله ﷺ **((علياً(كرم الله وجهه) فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به إلى النبي ﷺ، وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهداهما لها، أحدهما اسمه (مخذم) والآخر (رسوب) فوهبهما لعلي، فيقال: إن ذا الفقار سيف علي أحدهما))**[3].

وقد جاء ذكر هذه الاصنام في القرآن الكريم بعد تقرير لرسالة التوحيد، وبيان صفة الوحي عن طريق جبريل عليه السلام، **ومشاهدة الرسول ﷺ له، ما دل على شؤون جليلة في بيان عظمة الله تعالى، وشرف رسوله ﷺ، وشرف جبريل عليه السلام، هذه الحقائق شكلت منطلقاً لإثارة موازنة ومقابلة ذهنية بين قدرة الله الواحد الأحد وعظمته، وبين آلهتهم الذليلة العاجزة والمتعددة الهيئات والأسماء، والتي ذُكر ثلاثة من أعظمها عندهم وهي (اللاّت، والعُزَّى، ومناة)، قال تعالى:** ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم].

بدأ الجدال هنا باستعمال الاستفهام الإنكاري التوبيخي في ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾، وعُطِفَ بالفاء على مقدَّر بعد الهمزة لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية، أي: أظننتم أن هذه الاصنام التي

(١) الأصنام: ١٤؛ وينظر: سيرة ابن إسحاق: ١/ ٧٤.
(٢) المحبر: ٣١٣.
(٣) بلوغ الارب: ٢/ ٢٠٢.

تعبدونها والتي زعمتم أنها بنات الله تصلح أن تكون آلهة[1].

وجاء الاستفهام في ﴿ أَفَرَءَيْتُم ﴾ **هنا غير مسبوق بفعل الأمر (قل) كما في سورة الزمر:** ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ **[من الآية: ٣٨]، وغير مسبوق كذلك بالفعل الماضي (قال) كما في سورة الشعراء:** ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾**.وهذا يدل على أن جدال القرآن في هذا الموضع كان مباشراً معهم من دون واسطة، ولم تكن هذه المجادلة بتلك الشدة ولا بذلك التحدي، لأن بطلان ألهتهم أمرٌ مفروغٌ منهم ومُسلَّم به، حتى أنه تعالى لم يذكر أي ردٍ أو دفاعٍ من جانب الكفار، بل جعلهم يقرون بأنفسهم أن عقيدتهم الباطلة إنما هي ظن وهوى أنفس**[2].

وقد أفاد الاستفهام هنا استحضار صورة المُسْتَفْهَم عنه في الذهن ليُحكم عليه وهو حاضر فيه، والرؤية في ﴿ أَفَرَءَيْتُم ﴾ **هي مزيج من الرؤية البصرية، والرؤية القلبية، كلتاهما تفيدان في تصور المعنى المراد، وهو إظهار مدى عجز وحقارة وصغر شأن هذه الاصنام، فالرؤية البصرية تُري الناظر أن هذه الاصنام مجرد حجارة، وهذا دليل عجزها وهوانها، والرؤية العلمية تُري المتفكر أن هذه الاصنام عاجزة عن أي شيء، وما هي إلا أسماء لا يندرج تحتها أي معنى من معاني الالوهية فهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً فكيف الحال لمن يعبدها، أي: انظروا إلى هذه الاصنام التي زعمتم أنها آلهة من دون الله تعالى، هل ترون فيها إلا حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر؟ ثم بعد ذلك استحضروا صورتها في أذهانكم وقلوبكم، فهل علمتم فيها ما يجعلكم تتخذونها آلهة؟** [3]، فماذا بعد

---

(١) ينظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، عبد الكريم محمد يوسف: ١٤٢.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي: ٦٢؛ ومناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي: ١٩٥-١٩٦.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم: ٨/ ١٥٨؛ والتفسير البلاغي للاستفهام في

الهدى إلا الضلال، فمن يؤمن بها ويكفر بالله تعالى بعد ذلك إلا أعمى البصر والبصيرة.

وتقديم اللاّت على العُزّى للتفاوت الرتبي، وذلك أن اللاّت كانت عندهم أعظم من العُزى، فقد ورد تقدمها أيضاً في حديث الرسولﷺ:((**لا يذهب الليل والنهار، حتى تُعبد اللاّت والعُزّى**))[1]، كما ورد تقدمها عند المشركين في دعائهم أثناء طوافهم بالكعبة فكانوا يقولون: ((واللاّت والعُزى، ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العُلى، وأن شفاعتهن لترتجى))[2]، وكان المشركون يُقدمون اللاّت أيضاً في قسمهم فيقولون: ((واللاّت والعُزى))، والظاهر أن العرب قد اعتادت على هذا القسم حتى أن بعضهم كان بعد إسلامه يسبقه لسانه فيقسم بهما، ومن هنا جاء قول النبي ﷺ: ((**من حَلَف فقال في حلفه: واللاّت والعُزى، فليقل: لا إله إلا الله**))[3]، ويظهر تقدم اللاّت على العُزى كذلك في بعض أشعارهم ومنها قول زيد بن نُفيل:

تركت اللاّت والعُزى جميعاً كذلك يفعل الجَلِدُ الصبورُ [1]

ولعلَّ اقتران اللاّت بالعُزى وتقدمها عليها ناتج عن كونهما منحدرين من ديانة واحدة كانت في الأصل عبادة للكواكب، فقد كانتا إلهين متقابلتين في ديانات أهل الشام والصفويين، فقد مثلت اللاّت عندهم (الشمس)، بينما مثلت العُزَّى (نجم الصباح)، والشمس عند عبدة الكواكب والنجوم كانت أعظم شأناً من باقي الكواكب والنجوم[4].

القرآن الكريم، د. عبدالعظيم المطعني: ٤/ ١٨٠.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ،٤/ ٢٢٣٠، رقم (٢٩٠٧)،

(٢) الأصنام: ١٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾، ٦/ ١٤١، رقم(٤٨٦٠).

(٤) ينظر: المفصل: ٦/ ٢٣٧؛ والأساطير والخرافات عند العرب: ١٣٣-١٣٤.

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾، **تأخير لمناة على اللاّت والعُزى، وهذا فيه وجوه: الأول، أنه لما كانت سورة النجم من أوائل السور المكية التي خاطب الله تعالى فيها مشركي قريش، قدم اللاّت والعُزى لأنهما كانتا من أصنام قريش، وأخَّر مناة التي كانت صنماً للأوس والخزرج في يثرب**[1]، والثاني، أنه لما كانت مناة أقل رتبة ومنزلة من اللاّت والعُزى أُخرت عنهما ثم وصِفت بالثالثة، وأما وصفُها بالأخرى، فإنه يقوي هذا المعنى، ويزيد من وضاعتها، وإلا لقال الأُخريات، و﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ **لا تطلق إلا إذا كان الأول مشاركاً للثاني، فلا يقال: رأيت رجلاً وامرأة أخرى، وإنما يقال: رأيتُ امرأة وامرأة أخرى، فلما كانت العرب لا تقول للثالثة أخرى، وإنما الأخرى نعت للثانية، أُجيب بأن الأخرى صفة ذم لها، أي المتأخرة الوضيعة المقدار، وقد ذهب الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى هذا المعنى فقال: ((والأُخرى ذم، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ ﴾[الأعراف: من الآية ٣٨]، أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم))**[2]، فقوله:﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾، **ليس من باب الإطناب، وإنما جاء مراعاةً للفاصلة**[3]، فضلاً عن ما فيه من ((إشارة إلى ما مني به هؤلاء القوم من ضعف في العقول وفساد في التفكير، حتى إنهم لم يقفوا بإشراكهم عند حد إلهين، بل زادوا عليها ثالثاً))[4] ومن هنا يتضح الشعور بالتهكم المر في قوله: (الأخرى)[5]، وقيل: إن الاصنام كثيرة فإذا أخذنا اللاّت والعُزى مقدمين كانت لهما ثوالث كثيرة، وهذه أي مناة الثالثة أخرى، وقيل: في الكلام تقديم

(١) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني: ٢/ ١٢٥.
(٢) الكشاف: ٤/ ٤٢٤.
(٣) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني: ٢/ ١٢٦.
(٤) من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي: ١٠٣.
(٥) ينظر: نفسه: ١٠٣.

وتأخير، أي: ومناة الأخرى الثالثة، وقيل: في الكلام حذف، والتقدير: أفرأيتم اللاّت والعُزى المعبودتين بالباطل، ومناة الثالثة المعبودة الأخرى[1].

أما فيما يتعلق بتخصيص هذه الاصنام بالذكر من دون غيرها من أصنام العرب المشهورة فقد ذهب المفسرون إلى أن إيثار ذكر هذه الاصنام هنا من دون غيرها لأنها كانت أعظم أصنامهم، إلا أنه كان هناك من أصنامهم من هو أعظم مكانة وأعلى شأناً عندهم، وهو الصنم (هُبل)، ومع هذا لم يُذكر هنا، ولعل السبب في ذلك أن سياق الآيات هنا هو الحديث عن الاصنام التي عدُّوها إناثاً، وزعموا أنها بنات الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾، **بينما كان هبل صنماً ذكراً على صورة رجل، فلماذا لم يُذكر الصنم هبل في غير هذا الموضع مع أنه كان ((أعظم أصنام قريش))**[2]، بل كان أول صنم يُنصب ويُعبد في البيت الحرام، وكان موضع نصبه في جوف الكعبة، وقيل فوقها، ومكان نصبه هذا دليل على عظم شأنه، وكان من عقيق أحمر ويده اليمنى من الذهب وليس من الحجارة أو الخشب شأن بقية الاصنام، وكان يُستقسم عنده بالأزلام دون سائر أصنام مكة، وكان شعار قريش يوم أُحد: ((أعلُ هُبل))[3]، والذي يبدو لي- والله أعلم - أن الله تعالى لم يذكر في كتابه العزيز أي صنم من الاصنام التي نصبت في بيته الحرام وفي مقدمتهم كبيرهم هبل، وأن القصد من ذلك هو محوَ هذه الاصنام التي دنست البيت الحرام من الوجود والذاكرة معاً، كيف لا؟ وقد باشر الرسولﷺ **تحطيم هذه الاصنام**

(١) ينظر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، فخرالدين الرازي: ٨/ ٢٥٥؛ وتفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، أبو محمد القرطبي: ١٧/ ٦٧؛ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين القمي النيسابوري: ٦/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) الأصنام: ٢٧.

(٣) سيرة ابن هشام: ٣/ ١٠٤.

بنفسه عندما دخل الحرم يوم الفتح، وأخذ يطعنها بعود بيده في عيونها ووجوهها وهي تهوي على الأرض، فعن ابن مسعود رضي الله عنه (ت٣٢هـ) قال: ((دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء: من الآية: ٨١]))[(١)].

فلا يُعقل بعد ذلك أن تُذكر أصنام مكة التي دنَّست الحرم الشريف أو تقوم لها قائمة وقد كسرها الرسول ﷺ بنفسه، أو أنها كُسرت بحضوره، في حين نجد أن جميع الاصنام التي ذُكرت في القرآن الكريم كانت منصوبة خارج مكة، ولم يُنصب أي منها داخل الحرم، ولم يباشر الرسول ﷺ كسرها بنفسه، وإنما أرسل إليها السرايا تباعاً لكسرها وإحراقها في مواضعها في أنحاء الجزيرة العربية، على أن اختيار هذه الاصنام لذكرها في القرآن الكريم إنما جاء لبيان حقارتها وهوانها وعجزها وتحذير الناس من الرجوع الى عبادتها، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللاّت والعُزى)) فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: الآية ٣٣]، أن ذلك تاماً، قال: ((سيكون من ذلك ما شاء، ثم يبعث الله ريحاً طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم))[(٢)].

ثم قال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾، فقد فُصِلت الجملة عما قبلها لكمال الاتصال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب المظالم والغصب، بَابُ هَلْ تُكْسَرُ الدِّنَانُ الَّتِي فِيهَا الخَمْرُ، أَوْ تُخَرَّقُ الزِّقَاقُ، فَإِنْ كَسَرَ صَنَمًا، أَوْ صَلِيبًا، أَوْ طُنْبُورًا، أَوْ مَا لاَ يُنْتَفَعُ بِخَشَبِه، ٣/ ١٣٦، رقم (٢٤٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ، ٤/ ٢٢٣٠، رقم (٢٩٠٧).

بينهما، لأنها وقعت بدل اشتمال عن التي قبلها، والاستفهام في ﴿ أَلَكُمُ ﴾، استفهام إنكاري توبيخي[1]، وقد قدم ما زعموه لأنفسهم، وولى الجار والمجرور ﴿لَكُمُ﴾ **همزة الإنكار لأنه محط الإنكار في أول الأمر، وذلك لأن الخطاب بدأ معهم في الآية السابقة في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ فناسب تقدم الخطاب معهم أن يُقدم ما زعموه خالصاً لهم، بينما نجد في سورة الطور تقديم ما زعموه لله تعالى على ما زعموه لأنفسهم فقال:﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[الطور: ٣٩]، لأن سياق الحديث في السورة كان على طريق الغيبة فخلا المقام من الداعي البلاغي لتقديم ما زعموه لهم**[2] والمقصود من تقديم ما زعموه لأنفسهم من الذكور هنا في﴿لَكُمُ﴾ **هو توجيه الإنكار والتوبيخ لهم وتسفيه عقولهم التي اقترفت فريتين في آن واحد، الأولى: نسبة الأولاد إلى الله تعالى، والثانية: تخصيص الله تعالى بالذرية من الإناث دون الذكور، فليس الغرض من هذا الاستفهام هنا هو إثبات البنين لله ﷻ، وإنما بيان سقوط الفكر الوثني المنحرف الذي كان ينتقص من الأنثى ويحرمها من كل حق، وينظر إليها نظرة دونية، حتى أن أحدهم إذا ولد له مولود أنثى عمد إلى وئدها، تخلصاً منها، كما قال تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[النحل][3]، بل كانوا يصفون الأنثى بقولهم: ((ما هي بنعم الولد نصرها بُكاءٌ وبِرها سرقةٌ))[4]، أي: أنها إذا أرادت أن تنصر أهلها وعشيرتها فليس بمقدورها إلا البكاء

(١) أسلوب الاستفهام في القرآن: ١٤٣.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام: ١٨٠-١٨١.

(٣) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر: ٢/ ١٢٧-١٢٨؛ والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان: ٢٧٢-٢٧٣؛ ومناهج الجدل في القرآن الكريم: ١٩٦.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: ١/ ٥٠٧، وينظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني: ٣/ ١٤٢.

لأنها ضعيفة وعاجزة ولا حول لها ولا قوة، وإذا أرادت أن تبُر أهلها فإنها تسرق من بيت زوجها لتساعدهم، فكيف بعد هذا يجعلون من آلهتهم المزعومة إناثاً؟ ثم كيف بعد ذلك يستنصرون بها على أعدائهم ويطلبون منها العون والمدد والحماية والرزق؟ ثم يزيدون على ذلك ويُنسِبون ما عدَّوه ناقصاً إلى الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل: من الآية ٦٢]، **ومن هنا وصف الله تعالى قسمتهم الغريبة هذه بلفظة غريبة تناسب غرابة قسمتهم، فقال:** ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾، **وإيثار الإشارة للقسمة بالبعيد** ﴿ تِلْكَ ﴾ **لبيان بعد هذه القسمة عن العدل والإنصاف ودنو مرتبتها عن اللائق بحق الله** ﷻ، **و** ﴿ إِذًا ﴾ **حرف جواب وجزاء** [1]، أُريد به جواب الاستفهام الإنكاري، أي تَرَتَّب على ما زعمتم من نسبة الذكور لكم ونسبة الإناث لله تعالى أنها قسمة جائرة، وتنكير ﴿ قِسْمَةٌ ﴾ **للتحقير الذي ناسب وصفها بالضيزى، و** ﴿ ضِيزَىٰ ﴾: **((قسمة ضُؤْزى وضَأزى مقصوران: جائرة غير عدل، وتقول العرب قسمة ضُؤْزى، بالضم والهمز، وضُوزى، بالضم بلا همز، وضئزى، بالكسر والهمز، وضِيزى، بالكسر وترك الهمز، ومعناها كلها الجور، والضَّوزَة: من الرجال الحقير الصغيرة الشأن))** [2]، ويقال ضازة يضيزه إذا أنقصه حقه، ويقال: ضأزة يضأزه بالهمز، وأجمع النحويون أن أصل ضيزى هو ضوزى، وحجتهم أنها نُقلت من (فُعلى) إلى (فِعلى) أي من (ضوزى) إلى (ضيزى) لتسلم الياء، لأنه ليس في كلام العرب صفة على وزن (فِعلى)، وإنما هو بناء للأسماء كالشعرى والدِّفلى، وقد حكى الكسائي ضأز يضأز ضأزاً بالهمز وأنشد الأخفش:

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي: ٣٦٤.

(٢) لسان العرب، مادة (ضيز): ٤/ ٥٨.

فإن تنأ عنها تقتنصك وإن تغب فسهمك (مضئوز) وأنفك راغمُ

والأكثر ضاز بلا همز، كما في قول امرئ القيس[1]:

(ضازت) بنو أُسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب [2]

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة ﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾ **الغريبة لمقابلة غرابة قسمة المشركين هذه، فالآية الكريمة تأتي في سياق يسود فيه الفكر الوثني المنحرف بتصوراته الفاسدة وطقوسه الباطلة الجوفاء، وقد أشارت الدكتورة عائشة عبد الرحمن إلى ملاءمة لفظة ﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾ بمادتها المعجمية لطقوس هذا الجو، فهي تقول: ((وكل ما ألمحه فيها – على بعد – أن يكون فيها من الجور حس مادتها فيما يلوك عبدة الأوثان منقولة من ضاز الثمرة لاكها في فمه))** [2]، ((فكانت غرابة اللفظة أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى، والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها)) [3].

وغرابة هذه اللفظة في الحقيقة لم تُخِل بفصاحة الكلام لأنها متصفة بحسن البيان، وذلك بملاءمتها للمعنى المراد عن طريق وجود المناسبة بين اللفظة وبين المعنى الدال عليها، وذلك من جهة محاكاة الناطق بهيئة نطقه وكيفية تحريك أعضاء النطق عند النطق بهذه اللفظة، فهيئة الناطق بكلمة ﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾ **تعبر عن حالة النفور والاشمئزاز عند النطق**

---

(١) لم أجد هذا البيت في ديوان امرئ القيس.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن: ٤٦١؛ وينظر: حول الإعجاز البلاغي للقرآن، د. حسن طبل: ٦٣-٦٤.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ١٨٩.

بها، ولهذا اختارها القرآن الكريم من دون سواها من الكلمات[1]، وهذا ما يسمى عند علماء الصوت المحدَثين بـ(الانوماتوبيا)[2]، وقد حاول الكثير من المشككين في فصاحة القرآن الكريم استغلال ورود مثل هذه اللفظة وغيرها للطعن بفصاحة القرآن الكريم، ومثال ذلك ما أورده ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) حول جدالٍ وقع بينه وبين أحد المتفلسفة يقول فيه: ((وحضر عندي في بعض الأيام رجل متفلسف، فجرى ذكر القرآن الكريم، فأخذت في وصفه، وذكرت ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة، فقال ذلك الرجل: وأي فصاحة هناك، وهو يقول: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾؟ **فهل في لفظة ﴿ ضِيزَىٰ ﴾ مِنَ الحسن ما يوصف؟ فقلت له: إعلم أن لاستعمال الألفاظ أسراراً لم تقف عليها أنت ولا أئمتك، مثل ابن سينا والفارابي، ولا من أضلهم مثل أرسطاليس وأفلاطون، وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن، وهي لفظة ﴿ ضِيزَىٰ ﴾ فإنها في موضعها لا يسد غيرها مسدها... وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا أن غير هذه اللفظة أحسن منها، ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة، لأنها تكون خارجة عن حرف السورة، وسأُبين ذلك فأقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: قسمة جائرة،أو ظالمة، ولا شك أن (جائرة) أو(ظالمة) أحسن من ﴿ ضِيزَىٰ ﴾ إلا أنا إذا نظمنا الكلام، فقلنا: ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذن قسمة ظالمة، لم يكن النظم**

(١) ينظر: خصائص التراكيب، د.محمد مُحمد أبو موسى: ٦٥؛ والتصوير الفني في القرآن الكريم، د.جبير صالح حمادي: ١٤٧-١٤٨؛ والإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، د. عبد الحميد هنداوي: ٢٩-٣٠، ٧١-٧٢.

(٢) الأنوماتوبيا: ((عملية تجسيد الصوت للمعنى فيكون الشكل بذاته دالاً على مضمونه، والنقد الحديث صار يؤكد هذه الظاهرة في الأدب على أنها عنصر ترميز بحيث يصبح الشكل شفافاً مصوراً جوانب المعنى بصوته)) جمالية المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف: ٢٩١-٢٩٢؛ وينظر: دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس: ٥٤-٥٦.

كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعوز، الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام، فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحاماً....))[1].

وردَّ ابن الأثير هذا رغم جماله فإنه في الحقيقة لا يخرج عن الحدود اللفظية، لأنه هناك أمر معنوي فضلاً عن اللفظي يتعلق بلفظ ﴿ضِيزَىٰ﴾ **دون سواها لمناسبتها لغرض التشنيع في معناها**[2]، فضلاً عن اهتمام النظم القرآني بالإيقاع والانسجام في اللفظ والنغم، فترى الكلمة توضع في مكانها من العبارة بحيث لو تغير وضعها تقديماً أو تأخيراً أو حذفاً لاختلَّ ذلك التناسق اللفظي وذلك الوزن الخاص وتلك الفاصلة، على أن للفاصلة مزايا جمالية تتضح في شدة تماسكها بما قبلها وما بعدها من الكلام بحيث أنها تنحدر على الأسماع انحداراً وكأن ما قبلها لم يكن إلا تمهيداً لها، وما بعدها إلا تتمة لها، بحيث لو حذفت لاختل معنى الكلام، ولو أنها لم تُذكر لاستطاع السامع الفطن ذو الطبع والذوق السليمين أن يخمن ما سيختتم به الكلام، فكلمة ﴿ضِيزَىٰ﴾ **التي جاءت موافقة للفاصلة تتماسك مع المعنى وتنساق مع السياق، انسياقاً تاماً**[3].

ثم بين الله تعالى حقيقة هذه الاصنام التي اتخذوها آلهة من دونه فقال:﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ **فقد فُصلت الجملة عما قبلها للاستئناف البياني، إذ أن بينها شبه كمال اتصال، فقد جاءت جواباً عن استفهام مقدر،**

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الاثير: ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٧/ ٣٣٢؛ والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي: ٢٧/ ٤٧.

(٣) ينظر: خصائص التعبير القرآني، د.عبد العظيم المطعني: ١/ ٢٤٨-٢٤٩، ١/ ٣١٤، ٢/ ٤٤٨؛ وجرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال: ٢٠٣-٢٠٤.

وكأنه قيل: فما هي حقيقة هذه الاصنام إذن؟ والقصر بالنفي والاستثناء قصر إضافي، أي هي أسماء لا حقائق عاقلة متصرفة في شؤون الخلق كما تزعمون، وليس القصر حقيقياً لأن لهذه الاصنام مسميات وهي الحجارة أو البيوت التي يقصدونها بالعبادة [1]، وإيثار النفي بـ(إنْ) هنا دون (ما) لأنها أقوى وآكد في النفي من (ما) [2]، والقصر هنا يحتاج إلى توكيد في النفي والإثبات لأن هذه الاصنام التي زعموا فيها الألوهية ليس لها من صفات الألوهية شيء لأنها ليست حقائق عاقلة ولا تملك نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن إيثار القصر هنا بالنفي والإثبات دون القصر بـ(إنما)، لأن الأصل في القصر بالنفي والاستثناء يكون فيما ينكره المخاطب، وأما القصر بـ(إنما) فيكون في الأمر المعلوم الذي لا يُنكر والكلام هنا مما ينكره المخاطبون من المشركين ولهذا أوثر القصر بالنفي والإثبات [3]، وفي الآية الكريمة احتراس لئلا يتوهم أحد أن الإنكار إنما كان لقولهم: إن لله البنات ولهم البنون، فجاء هذا الإنكار لينكر كل فرياتهم من تسمية هذه الاصنام آلهة وتسميتها ملائكة وتسمية الملائكة إناثاً، وتسمية الإناث بنات الله، فهذه كلها أسماء لا مدلول لها ولا حقيقة وراءها [4]، وتنكير ﴿أَسْمَآءٌ﴾ **لزيادة تحقيرها وتصغير شأنها، وقال** ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، **ولم يقل: سميتم بها، مع أن الأسماء لا تسمى وإنما يسمى بها، وهذا فيه وجهان:**

الأول: لغوي، وهو أن التسمية هي وضع للاسم، فكأنه قال: أسماء وصفتموها، فاستعمل سميتموها استعمال وصفتموها.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: ٢٧/ ١١٢-١١٣.

(٢) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: ١/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، د. حسن طبل: ١٧٩.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني الآلوسي: ٢٧/ ٥٧-٥٨؛ وفي ظلال القرآن، سيد قطب: ٧/ ٦١٨-٦١٩.

والثاني: معنوي، وهو أنه لو قيل: أسماء سميتم بها، لكان هناك شيء يتعلق به حرف الباء غير الاسم، لأن قول القائل: سميت به، يستدعي مفعولاً آخر، فنقول: سميت بزيد ابني أو أخي أو غير ذلك، فيكون قد جعل للأصنام اعتباراً وراء أسمائها، أما قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾[مريم:من الآية ٣٦]، ففي الحقيقة هناك فرق بين الموضعين هو أنه تعالى قال: ﴿ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾، فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله ﴿ سَمَّيْتُهَا ﴾، واعتبر حقيقة اسمها بقوله ﴿ مَرْيَمَ ﴾، ولهذا لم يقل: وإني سميتها بمريم، أما في سورة النجم فقال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾، أي: ما هناك إلا أسماء موصوفة، فلم تعتبر الحقيقة هنا، واعتبرت في سورة مريم[1].

ثم أنه قدم ﴿ أَنتُمْ ﴾ على ﴿ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ ونسب التسمية إليهم أولاً قبل آبائهم مع العلم أن هذه الأسماء لأصنامهم كانت موضوعة قبلهم بقرون عدة، وإنما جاء هذا التقديم لتخصيصهم بهذه التسمية، لشدة إيمانهم وتمسكهم بهذه الاصنام ودفاعهم عنها فعوملوا لأجل ذلك معاملة الواضع الأول، فضلاً عن إفادة العناية لأنهم هم المقصودون بالدعوة وإبطال الحجة[2].

وقوله: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾، تعليل لمعنى القصر؛ لأن كونها لا حقائق لها في عالمي الغيب والشهادة، فعالم الغيب لا يمكن معرفته إلا عن طريق وحي من علام الغيوب سبحانه، أو عن طريق دليل عقلي كدلالة الوجود على الموجد، والخلق على الخالق، وأما عالم الشهادة فهو أمر محسوس إذ ليست هذه الاصنام إلا حجارة صماء لا تعقل ولا تملك أية صفة من صفات الألوهية[3] والسلطان: ((الحجة والبرهان، ولذلك

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٢٥٨-٢٥٩.
(٢) ينظر: نفسه: ٢٧/ ٢٥٨.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ١١٣.

قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تُقام بهم الحجة والحقوق))[1]، وأنزل: ((النزول في الأصل هو انحطاط من علو، وإنزال الله تعالى نِعَمِه ونِقَمِه على الخلق، إعطاؤهم إياها، والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أن التنزيل يختص بالموضع الذي يُشير إليه إنزاله مُفرقاً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام))[2].

وأنزل هنا بمعنى أخبر بها وهذه كناية عن انتفاء الحجة والبرهان عندهم، لأن وجودها يستلزم ظهورها ومعرفة العباد لها[3]، وقد عُبِّرَ عن الإخبار بالوحي بالفعل ﴿أَنزَلَ﴾ **لأنه إخبار من العالم العلوي فشبهه بإدلاء جسم من أعلى إلى أسفل عن طريق الاستعارة المكنية، إذ استعار الإنزال للتعبير عن الإخبار، وشبه المعنوي الذي هو الخبر بالمادي الذي هو جسم له هيئة، واستعار أحد لوازمه وهو الإنزال واستعمله للمعنوي، بينما استعار الفعل ﴿نَزَّلَ﴾ في موضع آخر في سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖ﴾ [الأعراف: الآية ٧١]، فقال هنا ﴿نَزَّلَ﴾ ولم يقل ﴿أَنزَلَ﴾، لأن (أفعل) للتعدي، و(فعَّل) للتعدي والتكثير، وصيغة المبالغة هذه تجري مجرى الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع، بينما صيغة (فعَّل) أراد بها العموم**[4].

وقوله: ﴿مِن سُلۡطَٰنٖ﴾، ﴿مِن﴾ **زائدة إعرابياً جاءت لتأكيد النفي في ﴿مَّآ أَنزَلَ﴾ وللتنصيص عليه، مع تأكيد العموم المنفي الذي يشمل كل شيء يمكن أن يكون حجة يُحتج بها، أي أن الله تعالى لم يُخبركم بأية حجة أو نص من عالم الغيب تحتجون به، أما منطق**

(١) لسان العرب، مادة (سلط).: ٤/ ٧٣٨،
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٧٩٩.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ١١٣.
(٤) ينظر: البرهان في متشابه القرآن، الكرماني: ١٧٢-١٧٣ .

العقل فيُثبت أن هذه الاصنام لا تمتلك أي شيء من مقومات الربوبية والألوهية وقد ثبت كل هذا قبلاً في الرؤية البصرية والعلمية التي سبق الحديث عنها في قوله ﴿ أَفَرَءَيْتُم ﴾.

وقوله: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ فُصِلَت الجملة عما قبلها لشبه كمال الاتصال، وهي استئناف بياني لما قبلها، وفي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة للإعراض عنهم وتحقير شأنهم، والقصر بالنفي والإثبات قصر حقيقي، لأنهم لما عدموا الحجة والبرهان لم يبق لهم شيء يعتمدونه في إتباعهم إلا الاعتقاد الباطل وهوى الأنفس على الحقيقة، و﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾: ((يقال: تَبِعَهُ واتَّبَعَهُ: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار))[1]، وإيثار المضارع في﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ للدلالة على إصرارهم واستمرارهم على إتباع الظن وهوى أنفسهم، والظن: يستعمل في الشك واليقين، وإن كان في اليقين فإنه ليس يقين عيان، وإنما يقين تدبر؛ لأن يقين العيان لا يُقال عنه إلا علم[2]، وعطف ﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ على الظن تعليل له وبيان أن ظنهم هذا ليس يقيناً وإنما هو مما خالج أنفسهم ووافق هواهم، والهوى: ((ميل النفس إلى الشهوة، وقيل: سُمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية))[3]، وإيثار استعمال صيغة الجمع في قوله: ﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ مع أنه لا يتبعون ما تهواه كل نفس منهم فإن من النفوس ما قد تهوى ما لا تهواه غيرها، وهذا الاستعمال للجمع إنما جاء لمقابلة الجمع بالجمع، ومعناه أن كل واحد منهم قد أتبع ما تهواه نفسه هو، وهذا دليل على مدى ضلالهم وعدم تقيّدهم بشرعة أو منهج حتى في

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٢-١٦٣.
(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ظنن): ٧/ ٨٥٧.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٤٩.

إشراكهم وأن لكل واحد منهم فهمه الخاص عن إلهه المعبود يمليه ظنه وهواه هو[1].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ جملة حالية مسوقة للتعجب من حالهم في إصرارهم على الكفر وإتباع الظن وهوى الأنفس بعد أن جاء الحق من ربهم بإرسال رسوله ﷺ بالهدى والحجج والبراهين القاطعة والمعجزات الخارقة، وأكد قوله باللام التي في جواب القسم المحذوف، وبقد التحقيقية، والتعريف في ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ للدلالة على معنى الكمال، أي: الكامل في أنه يهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم [2]، فضلاً عن استخدام أسلوب المجاز العقلي في جعل ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ فاعلاً وليس مفعولاً، فلم يقل: ولقد جاءهم ربُّهم بالهدى، وذلك لبيان قوة الحجة والبرهان من ربهم حتى كأنها هي من تحاججهم لا أن يُحتج بها، وتقديم ﴿مِّن رَّبِّهِمُ﴾ للاختصاص، فإن الله تعالى هو المستحق وحده للربوبية والألوهية وقد قامت عليهم الحجة والبرهان بذلك فأعرضوا عنها، فضلاً عن أن تأخير لفظة ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أفاد تناسب الفاصلة في السورة.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٨/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر: ٢/ ١٣١-١٣٢.

الخاتمة

أهم النتائج التي خلص البحث إليها هي:

١. ذكر القرآن الكريم أصناماً بمسمياتها وهي أصنام مشركي العرب: اللاَّت، والعزَّى، ومناة، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن سبب ذكر هذه الأصنام من دون غيرها هو أنها كانت أعظم أصنام المشركين شأناً عندهم، وقد ذهب البحث إلى غير ذلك وهو أن هناك أصناماً أخرى كانت أعظم شأناً منها وخاصة الصنم هبل، وأن سبب عدم ذكر أيٍّ منها، والله أعلم، إلى أنها كانت منصوبة داخل البيت الحرام أو في مواضع أخرى من مكة، وأن الرسول ﷺ قد باشر كسرها بيده أو أنها كُسرت بحضوره فلن يكون لها ذكر بعد ذلك ولن تقوم لها قائمة، وإلا لماذا لم يُذكر أيٌّ من أصنام مكة وقد كان حول الكعبة عندما فتح الرسول ﷺ مكة ثلاثمائة وستون صنماً؟.

٢. اقتصر ذكر أصنام مشركي العرب على المرحلة المكية للاهتمام بإبطال ألوهيتها في بداية الدعوة فلم يُذكر أيٌّ منها في المرحلة المدنية من التنزيل.

٣. غلب استعمال أساليب علم المعاني في الآيات المدروسة في البحث، فقد بلغت نسبة استعمال هذه الأساليب ما يقارب (٦٩٪)، في مقابل نسبة استعمال علم البيان التي بلغت ما يقارب (٢٠٪)، ونسبة استعمال أساليب علم البديع التي بلغت ما يقارب (١١٪)، وذلك لتناسب أساليب علم المعاني مع المسائل الجدلية القائمة على حوار الخصم وإسقاط حججه كما سيأتي تفصيل ذلك في نتائج أخرى، فضلاً عن الاعتماد على المعاني الثانية المقصودة في الآيات الكريمة، دون الإكثار من الفنون البيانية المعتمدة على التشبيه والتصوير والخيال، والفنون البديعية القائمة على العلاقات اللفظية.

٤. ورد استعمال الاستفهام المجازي في سياق الجدال مع المشركين والكفار؛ وذلك أن

أفضل أسلوب لإقناع الخصم وإسقاط حججه هو إثارة أسئلة تلزم الخصم بالجواب عليها وإقامة الحجة على نفسه أو تجعله يفكر في نفسه ويتوصل إلى بطلان معتقده.

٥. تنوعت أساليب علم البيان فكانت الاستعارة التصريحية والمكنية والمجاز المرسل الأكثر وروداً في مباحث الرسالة، وذلك في المواضع التي احتاج فيها المقام إلى التصوير والخيال لخدمة الغرض الرئيس من النص .

٦. برزت في البحث وجوه كثيرة من أوجه الإعجاز القرآني، فإلى جانب الإعجاز البياني الذي هو سمة غالبة في هذه الآيات، برز أيضاً الإعجاز اللغوي كما مر ذلك مثلاً في لفظة (ضيزى).

المصادر والمراجع

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت٢٥٠هـ)، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع ماتيو كرومو، مدريد - إسبانيا، (د.ط)، (د.ت).

٢. أديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان الجارم، مطبعة السعادة- مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م.

٣. الأساطير والخرافات عند العرب، د.محمد عبد المعيد خان، دار الحداثة- بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٤. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه - إعرابه، عبد الكريم محمد يوسف، مطبعة الشام- دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٥. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، (د.ط)، (د.ت).

٦. الأصنام، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م.

٧. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، بمصر، (د.ط)،١٩٧١م.

٨. الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العلمية، صيدا - بيروت، مراجعة د.درويش الجويدي، (د.ط)، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٠. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق – بيروت، دار ابن كثير– دمشق– بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

١١. البرهان في متشابه القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت بعد ٥٠٠هـ)، تقديم ومراجعة وتعليق أحمد عزالدين عبدالله خلف الله، المنصورة – مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ– ١٩٨٨م.

١٢. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

١٣. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، شرح وتصحيح وضبط محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).

١٤. تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف– القاهرة، الطبعة الرابعة، (د.ط)، (د.ت).

١٥. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت٢٩٢هـ)، تقديم وتعليق السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية– النجف، الطبعة الرابعة، ١٩٧٤م.

١٦. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٩٧٢م)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠م.

١٧. التصوير الفني في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، د.جبير صالح حمادي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

١٨. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود

محمد ابن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).

١٩. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د.عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢٠. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القميّ النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ)، ضبط وتخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢١. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، متضمن لتحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٢. تفسير القرطبي، المسمى الجامع لأحكام القرآن، أبو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٣. التفسير الكبير، المسمى مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي الرازي(ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٤. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق – بيروت، ومؤسسة الإيمان- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٥. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد – العراق، ١٩٨٠م.

٢٦. جماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع،

دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٧. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٨. حول الإعجاز البلاغي للقرآن د.حسن طبل، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة، (د.ط)، (د.ت).

٢٩. خصائص التراكيب، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣٠. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د.عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٣١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، (د.ط)، (د.ت).

٣٢. دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، – القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٤م.

٣٣. الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية، محمد الخطيب، دار علاء الدين- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٣٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها- القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٣٦. السيرة النبوية، ابن إسحاق (ت١٥١هـ)، تحقيق وضبط طه عبد الرؤوف سعد، وبدوي طه بدوي، دار أخبار اليوم- القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٣٧. السيرة النبوية، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، (د.ط)،١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣٨. السيرة النبوية، ابن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق وشرح مصطفى السَّقا،وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٤٠. صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ)، اعتناء محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٤١. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).

٤٢. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٣. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٠٥هـ)، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٤. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة، جدة - المملكة العربية

السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٤٥. علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، د.حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤٦. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت١٩٦٦م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٤٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٤٨. لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، تحقيق وتعليق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٧هـ)،تحقيق د. أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي،- الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٠. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١١هـ)، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥١. محاضرات في تاريخ العرب، د. صالح أحمد العلي، مطبعة المعارف- بغداد، ١٩٥٥م.

٥٢. المحبر، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، رواية أبي الحسن بن الحسن السكري، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٥٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي

(ت٣٤٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٠٨هـ.

٥٤. معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥٥. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار السرور، (د.ط)، (د.ت).

٥٦. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السِّري الزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق د.عبد الجليل عبدة شلبي، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥٧. معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥٨. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ودار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٩. المغازي، محمد بن عمر بن واقد المشهور بالواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق د.مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٦٠. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق صفوك عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٦١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

٦٢. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٦٣. مناهج الجدل في القرآن الكريم، د.زاهر عواض الألمعي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٦٤. من بلاغة القرآن، د.أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر - القاهرة، (د.ط)، (د.ت).